

تفسير ابن كثير

هذه الآية الكريمة فيها فرج للأزواج وزيادة مخرج إذا قذف أحدهم زوجته وتعسر عليه إقامة البينة أن يلاعنها كما أمر الله وهو أن يحضرها إلى الإمام فيدعي عليها بما رماها به فيحلفه الحاكم أربع شهادات بالله في مقابلة أربعة شهداء إنه لمن الصادقين أي فيما رماها به من الزنا { والخامسة أن لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين } فإذا قال ذلك بانت منه بنفس هذا اللعان عند الشافعي وطائفة كثيرة من العلماء وحرمت عليه أبدا ويعطيها مهرها ويتوجب عليها حد الزنا ولا يدرأ عنها العذاب إلا أن تلعن فتشهد أربع شهادات بالله إنه لمن الكاذبين أي فيما رماها به { والخامسة أن غضب الله عليها إن كان من الصادقين } ولهذا قال { ويدرأ عنها العذاب } يعني الحد { أن تشهد أربع شهادات بالله إنه لمن الكاذبين * والخامسة أن غضب الله عليها إن كان من الصادقين } فخصها بالغضب كما أن الغالب أن الرجل لا يتجشم فضيحة أهله ورميها بالزنا إلا وهو صادق معذور وهي تعلم صدقه فيما رماها به ولهذا كانت الخامسة في حقها أن غضب الله عليها والمغضوب عليه هو الذي يعلم الحق ثم يحيد عنه .

ثم ذكر تعالى رأفته بخلقه ولطفه بهم فيما شرع لهم من الفرج والمخرج من شدة ما يكون بهم من الضيق فقال تعالى : { ولولا فضل الله عليكم ورحمته } أي لخرجتم ولشق عليكم كثير من أموركم { وأن الله تواب } أي على عباده وإن كان ذلك بعد الحلف والأيمان المغلظة { حكيم } فيما يشرعه ويأمر به وفيما ينهى عنه وقد وردت الأحاديث بمقتضى العمل بهذه الآية وذكر سبب نزولها وفيمن نزلت فيه من الصحابة .

فقال الإمام أحمد : حدثنا يزيد أخبرنا عباد بن منصور عن عكرمة عن ابن عباس قال : لما نزلت { والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا } قال سعد بن عباد وهو سيد الأنصار B : أهكذا أنزلت يا رسول الله ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم [يا معشر الأنصار ألا تسمعون ما يقول سيدكم ؟ فقالوا : يا رسول الله لا تلمه فإنه رجل غيور والله ما تزوج امرأة قط إلا بكرا وما طلق امرأة له قط فاجترأ رجل منا أن يتزوجها من شدة غيرته فقال سعد : والله يا رسول الله إني لأعلم أنها حق وأنها من الله ولكنني قد تعجبت أني لو وجدت لكاعا قد تفخذها رجل لم يكن لي أن أهيجها ولا أحرکه حتى آتي بأربعة شهداء فوالله لا آتي بهم حتى يقضي حاجته - قال : فما لبثوا إلا يسيرا - حتى جاء هلال بن أمية وهو أحد الثلاثة الذين تيب عليهم فجاء من أرضه عشاء فوجد عند أهله رجلا فرأى بعينه وسمع بأذنيه فلم يهيجه حتى أصبح فغدا على رسول

ﷺ عليه وسلم فقال : يا رسول الله ﷺ إنني جئت على أهلي عشاء فوجدت عندها رجلا فرأيت بعيني وسمعت بأذني فكره رسول الله ﷺ صلى الله عليه وسلم ما جاء به واشتد عليه واجتمعت عليه الأنصار وقالوا : قد ابتلينا بما قال سعد بن عبادة الآن يضرب رسول الله ﷺ صلى الله عليه وسلم هلال بن أمية ويبطل شهادته في الناس فقال هلال : والله ﷺ إنني لأرجو أن يجعل الله ﷺ لي منها مخرجا وقال هلال يا رسول الله ﷺ فإني قد أرى ما اشتد عليك مما جئت به والله ﷺ يعلم إنني لصادق فوالله ﷺ إن رسول الله ﷺ صلى الله عليه وسلم يريد أن يأمر بضربه إذ أنزل الله ﷺ على رسوله صلى الله عليه وسلم الوحي وكان إذا أنزل عليه الوحي عرفوا ذلك في تربد وجهه يعني فأمسكوا عنه حتى فرغ من الوحي فنزلت { والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهود إلا أنفسهم فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله { الآية } فسري عن رسول الله ﷺ صلى الله عليه وسلم فقال أبشر يا هلال فقد جعل الله ﷺ لك فرجا ومخرجا فقال هلال : قد كنت أرجو ذلك من ربي ﷻ فقال رسول الله ﷺ صلى الله عليه وسلم أرسلوا إليها فأرسلوا إليها فجاءت فتلاها رسول الله ﷺ صلى الله عليه وسلم عليهما فذكرهما وأخبرهما أن عذاب الآخرة أشد من عذاب الدنيا فقال هلال : والله ﷺ يا رسول الله ﷺ لقد صدقت عليهما فقالت : كذب فقال رسول الله ﷺ صلى الله عليه وسلم لاعنوا بينهما فليل لهما : اشهد فشهد أربع شهادات بالله ﷺ إنه لمن الصادقين فلما كانت الخامسة قيل له : يا هلال اتق الله ﷺ فإن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة وإن هذه الموجبة التي توجب عليك العذاب فقال : والله ﷺ لا يعذبني الله ﷺ عليها كما لم يجلدني عليها فشهد في الخامسة أن لعنة الله ﷺ عليه إن كان من الكاذبين ثم قيل للمرأة : اشهدي أربع شهادات بالله ﷺ إنه لمن الكاذبين وقيل لها عند الخامسة : اتقي الله ﷺ فإن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة وإن هذه الموجبة التي توجب عليك العذاب فتلكأت ساعة وهمت بالاعتراف ثم قالت : والله ﷺ لا أفصح قومي فشهدت في الخامسة أن غضب الله ﷺ عليها إن كان من الصادقين ففرق رسول الله ﷺ صلى الله عليه وسلم بينهما وقضى أن لا يدعى ولدها لأب ولا يرمى ولدها ومن رماها أو رمى ولدها فعليه الحد وقضى أن لا بيت لها عليه ولا قوت لها من أجل أن يفترقا من غير طلاق ولا متوفى عنها وقال إن جاءت به أصيب أريش حمش الساقين فهو لهلال وإن جاءت به أوراق جعدا جماليا خدلج الساقين سابع الأليتين فهو الذي رميت به فجاءت به أوراق جعدا جماليا خدلج الساقين سابع الأليتين فقال رسول الله ﷺ صلى الله عليه وسلم لولا الأيمان لكان لي ولها شأن [قال عكرمة : فكان بعد ذلك أميرا على مصر وكان يدعى لأمه ولا يدعى لأب ورواه أبو داود عن الحسن بن علي عن يزيد بن هارون به نحوه مختصرا .

ولهذا الحديث شواهد كثيرة في الصحاح وغيرها من وجوه كثيرة فمنها ما قال البخاري : حدثني محمد بن بشار حدثنا ابن أبي عدي عن هشام بن حسان حدثني عكرمة عن ابن عباس أن هلال بن أمية قذف امرأته عند النبي صلى الله عليه وسلم بشريك بن سحماء فقال النبي صلى الله عليه وسلم [البينة أوجد في طهرك فقال : يا رسول الله ﷺ إذا رأى أحدنا على امرأته رجلا

ينطلق يلتمس البينة ؟ فجعل النبي A يقول البينة وإلا حد في ظهرك فقال هلال : والذي بعثك بالحق إني لصادق ولينزلن اﷻ ما يبرء ظهري من الحد فنزل جبريل وأنزل عليه { والذين يرمون أزواجهم } إلى قوله { إن كان من الصادقين } فانصرف النبي A فأرسل إليهما فجاء هلال فشهد والنبي A يقول إن اﷻ يعلم أن أحكما كاذب فهل منكما تائب ؟ ثم قامت فشهدت فلما كان في الخامسة وقفوها وقالوا : إنها موجبة قال ابن عباس : فتلكأت ونكمت حتى طننا أنها ترجع ثم قالت : لا أفصح قومي سائر اليوم فمضت فقال النبي A أبصروها فان جاءت به أكحل العينين سابغ الأليتين خدلج الساقين فهو لشريك ابن سحماء فجاءت به كذلك فقال النبي رواه وقد الوجه هذا من البخاري به انفرد [شأن لها و لي لكان اﷻ كتاب من مضى ما لولا A من غير وجه عن ابن عباس وغيره .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أحمد بن منصور الزيادي حدثنا يونس بن محمد حدثنا صالح وهو ابن عمر حدثنا عاصم يعني ابن كليب عن أبيه حدثني ابن عباس قال : جاء رجل الى رسول اﷻ A فرمى امرأته برجل فكره ذلك رسول اﷻ A فلم يزل يردده حتى أنزل اﷻ تعالى { والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهود } فقرأ حتى فرغ من الايتين فأرسل إليهما فدعاهما فقال : [إن اﷻ تعالى قد أنزل فيكما فدعا الرجل فقرأ عليه فشهد أربع شهادات باﷻ إنه لمن الصادقين ثم أمر به فأمسك على فيه فوعظه فقال له كل شيء أهون عليه من لعنة اﷻ ثم أرسله فقال لعنة اﷻ عليه إن كان من الكاذبين ثم دعاها فقرأ عليها فشهدت أربع شهادات باﷻ إنه من الكاذبين ثم أمر فأمسك على فيها فوعظها وقال : ويحك كل شيء أهون من غضب اﷻ ثم أرسلها فقالت : غضب اﷻ عليها إن كان من الصادقين فقال رسول اﷻ A أما واﷻ لأقضين بينكما قضاء فصلا قال : فولدت فما رأيت مولودا بالمدينة أكثر غاشية منه فقال إن جاءت به لكذا وكذا فهو كذا وإن جاءت به لكذا وكذا فهو كذا فجاءت به يشبه الذي قذفت به [.

وقال الإمام أحمد : حدثنا يحيى بن سعيد حدثنا عبد الملك بن أبي سليمان قال : سمعت سعيد بن جبير قال : [سئلت عن المتلاعنين أيفرق بينهما في إمارة ابن الزبير فما دريت ما أقول فقامت من مكاني إلى منزل ابن عمر فقلت : يا أبا عبد الرحمن المتلاعنان أيفرق بينهما ؟ فقال : سبحان اﷻ إن أول من سأل عن ذلك فلان بن فلان فقال : يا رسول اﷻ أ رأيت الرجل يرى امرأته على فاحشة فإن تكلم تكلم بأمر عظيم وإن سكت سكت على مثل ذلك فسكت فلم يجبه فلما كان بعد ذلك أتاه فقال : الذي سألتك عنه قد ابتليت به فأنزل اﷻ تعالى هذه الايات في سورة النور { والذين يرمون أزواجهم } حتى بلغ { أن غضب اﷻ عليها إن كان من الصادقين } فبدأ بالرجل فوعظه وذكره وأخبره أن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة فقال : والذي بعثك بالحق ما كذبتك ثم ثنى بالمرأة فوعظها وذكرها وأخبرها أن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة فقالت المرأة : والذي بعثك بالحق إنه لكاذب قال : فبدأ بالرجل فشهد أربع شهادات

باﻻ إنه لمن الصادقين والخامسة أن لعنة ﺍﻻ عليه إن كان من الكاذبين ثم ثنى بالمرأة فشهدت أربع شهادات باﻻ إنه لمن الكاذبين والخامسة أن غضب ﺍﻻ عليها إن كان من الصادقين ثم فرق بينهما [رواه النسائي في التفسير من حديث عبد الملك بن أبي سليمان به وأخرجه في الصحيحين من حديث سعيد بن جبير عن ابن عباس .

وقال الإمام أحمد : حدثنا يحيى بن حماد حدثنا أبو عوانة عن الأعمش عن إبراهيم عن علقمة عن عبد ﺍﻻ قال : كنا جلوسا عشية الجمعة في المسجد فقال رجل من الأنصار : أحدنا إذا رأى مع امرأته رجلا إن قتله قتلتموه وإن تكلم جلدتموه وإن سكت سكت على غيظ وﺍﻻ لئن أصبحت صالحا لأسألن رسول ﺍﻻ A قال : فسأله فقال : [يا رسول ﺍﻻ إن أحدنا إذا رأى مع امرأته رجلا فقتل قتلتموه وإن تكلم جلدتموه وإن سكت سكت على غيظ اللهم احكم قال : فأنزلت آية اللعان فكان ذلك الرجل أول من ابتلي به انفرد بإخراجه مسلم فرواه من طرق عن سليمان بن مهران الأعمش به .

وقال الإمام أحمد أيضا : حدثنا أبو كامل حدثنا إبراهيم بن سعد حدثنا ابن شهاب عن سهل بن سعد قال : جاء عويمر إلى عاصم بن عدي فقال له : [سل رسول ﺍﻻ A أرايت رجلا وجد رجلا مع امرأته فقتله أ يقتل به أم كيف يصنع ؟ فسأل عاصم رسول ﺍﻻ A فعاب رسول ﺍﻻ A المسائل قال : فلقية عويمر فقال : ما صنعت ؟ قال : ما صنعت إنك لم تأتني بخير سألت رسول ﺍﻻ A فعاب المسائل فقال عويمر : وﺍﻻ لاتين رسول ﺍﻻ A فلأسألنه فأتاه فوجده قد أنزل عليه فيهما قال : فدعا بهما فلاعن بينهما قال عويمر : لئن انطلقت بها يا رسول ﺍﻻ لقد كذبت عليها قال : ففارقها قبل أن يأمره رسول ﺍﻻ A فصارت سنة المتلاعنين وقال رسول ﺍﻻ A أبصروها فإن جاءت به أسحم أدعج العينين عظيم الأليتين فلا أراه إلا قد صدق وإن جاءت به أحيمر كأنه وجرة فلا أراه إلا كاذبا فجاءت به على النعت المكروه [أخرجه في الصحيحين وبقية الجماعة إلا الترمذي من طرق عن الزهري به .

ورواه البخاري أيضا من طرق عن الزهري به فقال : حدثنا سليمان بن داود أبو الربيع حدثنا فليح عن الزهري عن سهل بن سعد أن رجلا [أتى رسول ﺍﻻ A فقال يا رسول ﺍﻻ أرايت رجلا رأى مع امرأته رجلا أ يقتله فتقتلونه أم كيف يفعل ؟ فأنزل ﺍﻻ تعالى فيهما ما ذكر في القرآن من التلاعن فقال له رسول ﺍﻻ A : قد قضى فيك وفي امرأتك قال : فتلاعنا وأنا شاهد عند رسول ﺍﻻ A ففارقها فكانت سنة أن يفرق بين المتلاعنين وكانت حاملا فأنكر حملها وكان ابنها يدعى إليها ثم جرت السنة في الميراث أن يرثها وترث منه ما فرض ﺍﻻ لها] .

وقال الحافظ أبو بكر البزار : حدثنا إسحاق بن الضيف حدثنا النصر بن شميل حدثنا يونس بن أبي إسحاق عن أبيه عن زيد بن بتيع عن حذيفة B قال : قال رسول ﺍﻻ A لأبي بكر [لو رأيت مع أم رومان رجلا ما كنت فاعلا به ؟ قال : كنت وﺍﻻ فاعلا به شرا قال : فأنت يا عمر ؟

قال : كنت وا فاعلا كنت أقول : لعن ا الأعجز فإنه خبيث قال : فنزلت { والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهداء إلا أنفسهم } [ثم قال : لا نعلم أحدا أسنده إلا النضر بن شميل عن يونس بن إسحاق ثم رواه من حديث الثوري عن ابن أبي إسحاق عن زيد بن بتيع مرسلًا فاعلم .

وقال الحافظ أبو يعلى : حدثنا مسلم بن أبي مسلم الجرمي حدثنا مغلد بن الحسين عن هشام عن ابن سيرين عن أنس بن مالك B قال : لأول لعان كان في الإسلام أن شريك بن سحماء قذفه هلال بن أمية بامرأته فرفعه إلى رسول ا فقال رسول ا A [أربعة شهود وإلا فحد في ظهرك فقال : يا رسول ا إن ا يعلم إنني لصادق ولينزلن ا عليك ما يبرء به طهري من الجلد فأنزل ا آية اللعان { والذين يرمون أزواجهم } إلى آخر الآية قال : فدعاه النبي A فقال اشهد با إنك لمن الصادقين فيما رميتها به من الزنا فشهد بذلك أربع شهادات ثم قال له في الخامسة ولعنة ا عليك إن كنت من الكاذبين فيما رميتها به من الزنا ففعل ثم دعاها رسول ا A فقال قومي فاشهدي با إنه لمن الكاذبين فيما رماك به من الزنا فشهدت بذلك أربع شهادات ثم قال لها في الخامسة وغضب ا عليك إن كان من الصادقين فيما رماك به من الزنا قال : فلما كانت الرابعة أو الخامسة سكنت سكتة حتى طنوا أنها ستعترف ثم قالت : لا أفصح قومي سائر اليوم فمضت على القول ففرق رسول ا A بينهما وقال انظروا فإن جاءت به جعدا حمش الساقين فهو لشريك بن سحماء وإن جاءت به أبيض سبطا قصير العينين فهو لهلال بن أمية فجاءت به جعدا حمش الساقين فقال رسول ا A لولا ما نزل فيهما من كتاب ا لكان لي ولها شأن [